

تمهيد

الحاجة إلى ترجمة شري أوروبيندو والأم إلى العربية

مرَّ شري أوروبيندو في أوائل القرن الماضي، في الهند، بتجارب حاسمة تبلورت في رؤية جديدة للإنسانية، وفي نفس الوقت تقريباً نضجت رؤية مماثلة في ذهن الأم في باريس، حيث كانت تقيم آنذاك. رأيا كلاهما، دون أن يعرف أحدهما الآخر، إشراق وعي جديد يوحد الإنسان مع الوجود كله ويحوّله إلى كائن أكثر سموً وعلماً وتحكماً في نفسه، وبذلك يحوّل الحياة على الأرض تدريجياً إلى "حياة إلهية"¹. التقت الأم بشري أوروبيندو عام 1914 وعملا سوياً ما يزيد على ثلاثين عاماً لتحقيق هذا الوعي وإنزاله على الأرض.

اليوم، في أوائل القرن الحادي والعشرين، نجد الآلاف حول العالم يعدّون شري أوروبيندو والأم من ضمن أعظم الشخصيات الروحية في تاريخ الإنسانية، ونجد عدد الذين يستمدون الهداية من تعاليمهما في ازدياد مطرد، ونجد أعمالهما وقد ترجمت إلى معظم لغات العالم الرئيسية، ونشهد كتباً ورسائل جامعية ومحطات إذاعية وأغاني وأفلام تكرر لهما، ونرى مجتمعات متعددة في بقاع مختلفة من العالم تتبنى فلسفتها وتعاليمها، أهمها المدينة الدولية أروفيل² الناشئة في جنوب الهند. لكل هذه الأسباب، ولأسباب أخرى كثيرة، يرى المترجم أن الأوان قد آن لكي يدخل شري أوروبيندو والأم مجال وعي القارئ العربي.

نشهد اليوم وعي الوحدة الشاملة التي نادى بها شري أوروبيندو والأم يتخلل الكرة الأرضية بسرعة متنامية. علامات هذه الوحدة بينة وجليّة، ونحن نخبرها كل يوم في السياسة والاقتصاد، في التقنيات والعلوم، على الشبكة العنكبوتية ووسائل الإعلام، في الثقافة والرياضة، وحتى في الأرياء والترفيه. كما نشهد أنماطاً ونماذج جديدة للحياة والمعاملات بين الناس وقد حسنت نوعية الحياة في البلاد المتقدمة إلى درجة لم تكن لتخطر على بال من قبل. وقد أصبح انتشار هذا الوعي وهذه التطورات الإيجابية بحيث يشمل الأرض بأكملها يمثل الأمل الوحيد في إمكانية إنقاذ العالم من المشاكل الجسيمة التي ما زالت تحاصره: الحرب وتدهور البيئة والظلم الاجتماعي والجوع والأصولية والتطرف.



يمكننا أن نجد أحد الأدوية الفعالة لعلاج الأصولية والظلم والعنف في الفكر الهندي الذي وهب الإنسانية على مدى آلاف السنين أسمى مبادئ وحدة الوجود وأسطع نماذج التسامح والتعايش السلمي. ولأن الفكر الهندي يرى الألوهية في كل مكان وفي جميع الكائنات، فقد نادى على الدوام بالاحترام والعطف والشفقة لا نحو الإنسان الآخر فحسب، ولكن نحو جميع صور الحياة، الجامدة منها والحية على حد سواء. كذلك تُعبّد الذات الإلهية في الهند لا بصفقتها الخالق القادر على كل شيء فحسب، بل أيضاً بصفقتها الأم الكونية التي ترعى جميع مخلوقاتنا وتراهم جزءاً من كيانها. ومن منطلق هذه النظرة، يصبح العنف في جميع أشكاله عنفاً ضد الأم الإلهية نفسها ويصبح موقف الإنسان تجاه الإلهية لا موقف إجلال ورهبة فحسب، بل، وقبل كل شيء، موقف حب وعبادة صادرة من القلب. ومع أن تعاليم شري أوروبيندو والأم تتبنى على الفكر الهندي، إلا أنها لا تتوقف عنده، بل تُلوّفه مع أسمى ما في الفكر الغربي من معاني وتمزج ذلك كله في رؤية رفيعة تهدف إلى تحقيق السماء على الأرض..

تتمحور تعاليم شري أوروبيندو والأم، المعروفة باسم "اليوجا المتكاملة"، حول وعي جديد وعلم نفس تطبيقي³ لا علاقة لهم بالإيديولوجيات الدينية⁴ أو بالزهد في الدنيا أو بالغيبيات. وهي ترى أن الإنسان

¹ عنوان أحد أعمال شري أوروبيندو

² انظر: www.auroville.org

³ "اليوجا ما هي إلا علم نفس تطبيقي"، شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنوي لشري أوروبيندو 39:20

⁴ "أستطيع أن أقول أن ترويج أي دين بين البشر، جديداً كان أم قديماً، بعيد عن غايتي للمستقبل. تمهيد طريق قد تراكمت فيه العقبات وليس تأسيس دين، هذا هو تصوري لهذه الغاية."، شري أوروبيندو، "عن نفسه"، 1935، ص 25

كائن انتقالي يتطور تدريجياً إلى ما بعد الإنسان أو "السوبرمان"⁵، وترى أن الإنسان قادر على أن يساهم واعياً في تطوره الذاتي وارتقائه وحتى على إسرار هذا التطور. وهي تعاليم تهدف إلى تحويل الإنسان إلى كائن أكثر سموً ونبلاً، وتؤكد أن هذا التحول يمكن أن يتم بصورة منهجية ولا يحتاج إلى أي قوى غيبية أو "معجزات" لتحقيقه. فكما أن عالم الطبيعيات يكتشف القوانين التي تحكم أعمال الطبيعة الظاهرية ويستخدمها لتغيير العالم، فإن اليوجا تكتشف القوانين التي تحكم الأعمال الباطنية للطبيعة وتستغلها لتنمية الإنسان وتحويله روحياً. ومع أن تحويل الطبيعة البشرية كان يعد مستحيلاً في الماضي، وعلى الرغم من كونه بالفعل على قدر عظيم من الصعوبة، إلا أنه، حسب تعاليم شري أوروبيندو والأم، ممكن، على الأقل إلى درجة تأتي ببعض النتائج الملموسة في خلال حياة بشرية واحدة.

اليوجا المتكاملة تتطلب وهب النفس إلى الألوهية، وإعداداً طويلاً وتربية شاملة للكيان، وإخلاصاً، وقوة عزيمة وتصميماً لا يعرف التشكك. ومن الواضح أن هذه أمور لا يمكن تحقيقها بين عشية وضحاها، ولكن صعوبتها، لحسن الحظ، لا تسري إلا في المراحل الأولى من الممارسة. فقد شهد كثيرون ممن مارسوا اليوجا المتكاملة بإخلاص ولفترة كافية أنه، بالقدر الذي تم به تحول طبيعتهم، فإن قوة تفوق قوتهم تكفلت بتحقيق تطوره، بحيث أصبحت الممارسة، في المراحل المتقدمة، تقدماً هائلاً وتلقائياً من "نور إلى نور" ومن "بهجة إلى بهجة".

هدف اليوجا المتكاملة ليس الهروب من هذا العالم إلى عالم سلام وهناء في مكان آخر، ولكن تحويل الحياة نفسها من حياة بؤس وعنف وحزن وألم إلى "حياة إلهية". وهي لا تخط طريقاً واحداً ينبغي على الجميع أن يسلكوه، ولكن تمكن كل فرد من تنمية وإتباع طريقه الذاتي مهتدياً بنوره الداخلي. وهي لا تُعد بمكاسب في هذه الحياة أو في حياة تليها، وإن كانت مكاسب لا تخطر على بال ولا يمكن احتسابها ستأتي لا محالة.



القراء الذين سيتمكنون من تقدير أعمال شري أوروبيندو والأم حق قدرها والانتفاع بها كل النفع، هم القراء القادرون على رؤية أن الحقيقة المطلقة لها أوجه عديدة، والذين هم لذلك قادرون على قبول ما هو حق في آراء مغايرة لأرائهم. وذلك يتطلب بدوره أن يكون ذهن القارئ سلساً ومرناً بدرجة تسمح له بأن يرى أن نفس الكلمات قد تحمل معاني متفاوتة حسب السياق الذي تأتي فيه وعلى ما إذا كانت مقصودة بمفهوم حرفي أو مجازي أو شاعري.

لا تكشف أعمال شري أوروبيندو والأم كل ما فيها من معرفة عند قراءة أولى أو تصفح متسرع، وكثيراً ما يلزم على المرء أن يعيد قراءة بعض النصوص ليتيح لنفسه الوقت الكافي للفهم والاستيعاب. ولذلك فإن قراءتها هي أشبه بدراسة ينفق الدارس فيها بعض الوقت في البدء للتعرف على المبادئ والمصطلحات⁶.

سيلاحظ القراء الذين يسلكون هذا الطريق تغييراً محسوساً في وعيهم الذاتي، وكنيجة لذلك تغييراً إيجابياً في حياتهم. سوف يجدون أنهم يتابعون بحثهم ورحلتهم متحررين من الخوف والشك. ولأنهم أصبحوا يميزون بين ما له وما ليس له قيمة، سيقدرون على النظر بابتسامة على مشاكل الحياة التي كان حلها يبدو لهم حتى الآن بعيداً عن المنال. سيتعلمون كيف يعملون بطاقة أكبر، وكيف يجدون سعادة في كل عمل يقومون به، وكيف يستمدون بهجة عظيمة من أشياء كانوا بالكاد يلحظونها سابقاً. سيجدون أن احتياجاتهم المادية تضاءلت وأنهم مع ذلك أصبحوا قادرين على أن يحيطوا أنفسهم بالجمال والوفرة، وأن يسبغوا على حياتهم البشر والدعة والسمو والمعنى. وسيكتشفون أن السعادة التي يحصلون عليها من البذل والعطاء تفوق بمراحل المباحج والمتع التي كانوا متشبثين بها وكانوا يتطلّبونها من الحياة ومن الآخرين. وسيخبرون كيف ينعكس الهدوء والسلام المتناميان بداخلهم بصورة إيجابية على صحتهم، وكيف أنهم أصبحوا قادرين لا فقط على تجنب، بل أيضاً على شفاء الكثير من العلل الصغيرة التي كانت تسبب لهم قدراً كبيراً من الضيق والإزعاج. وكل ما سيحتاجونه لهذا الشفاء هو الهدوء والتركيز والإيمان. وأخيراً سيتوصلون إلى قدرة أعظم للتغلب

⁵ الكائن الذي سيحل محل الإنسان في التطور الطبيعي الذي تنبأ به شري أوروبيندو والذي سيخطى عقله حدود العقل الحالي ليصل إلى مستوى السوبرمايند* وهو معرفة الوجدانية المطلقة الكامنة في تعدد لانهايتي.

⁶ هناك قاموس للمصطلحات في مكان آخر من هذا الموقع.

على نواحي الضعف وعلى بؤر المقاومة في أنفسهم، وللتعرف على مغزى الأشياء التي تصادفهم وعلى النعمة الكامنة وراء كل خطوة من خطوات حياتهم.

عندما نلبي النداء ونتبع مخلصين طريقنا نصل يوماً ما إلى الحقيقة الأسمى، حتى لو كنا أطلقنا عليها أسماء مختلفة وانتهجنا نحوها سبلاً متعددة. ونفهم أخيراً أننا جميعاً لسنا إلا أوجه وتجليات مختلفة لهذه الحقيقة الواحدة والمتعددة، وأنا لذلك مؤهلون وقادرون على أن نعيشها في أنفسنا وأن نظهرها في حياتنا.

2 - اعتبارات خاصة بترجمة شري أوروبيندو إلى العربية

من المهم التعرف على بعض المصطلحات التي تتخذ معاني ومفاهيم خاصة في كتابات شري أوروبيندو والأم، على سبيل المثال: الألوهية، التحول، التشكيل الفكري، التطلع، الكيان الحيوي، الكيان السيكي، والوعي التحتي. ومن المهم أيضاً التعرف على بعض المصطلحات ابتكرها شري أوروبيندو للتعبير عن أفكار ومعاني جديدة ابتكرها، مثال ذلك: سوبرمايند: supermind، أوفرمايند: Overmind. هذه المصطلحات مشروحة في قاموس المصطلحات المنشور في موضع آخر من هذه الصفحة.

ينصح شري أوروبيندو والأم بالمرونة في استنباط وحس معاني المصطلحات كما يتضح من الاقتباسات التالية:

"المعنى يجب أن يؤخذ من السياق، إذ أن التعريف يقيّد المعنى. [والمؤلف الذي يكتب] في مواضع روحية، يستطيع أن يلمح إلى المعنى ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك".
شري أوروبيندو، محادثات مع شري أوروبيندو، 11 مارس 1940

"...الكلمات ما هي إلا تعبير وترجمة ركيكة لا عن الفكرة فحسب، بل عما يتخطى الفكرة، أي عن المبدأ... لا يهتم كثيراً لو استخدمنا هذه الكلمات أم تلك، (فكل يستخدم الكلمات الأكثر ملائمة بالنسبة له).."
الأم، أجنده الأم، فبراير 28، 1968



من أهم المصطلحات التي يستخدمها شري أوروبيندو والأم مصطلح The Divine للتعبير عن الذات الإلهية و أيضاً عن الألوهية:

(1) للتعبير عن الذات الإلهية: كما يتضح من هذا التعريف:
" The Divine هو الكائن والروح المتعالي، لا مثل له، كله نعيم ونور ومعرفة إلهية وقدرة..."
شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنوي لشري أوروبيندو [509:23]

وفي نص آخر:
"The Divine هو الحقيقة الأسمى لأنه الكائن الأسمى، ومنه أتت وفيه توجد جميع الأشياء والكائنات".
شري أوروبيندو، مكتبة الميلاد المنوي لشري أوروبيندو [1081:23]

(2) للتعبير عن الألوهية في صفاتها وخصائصها، كما يتضح من النص التالي للأم:
"...هذا هو ما نعنيه بكلمة Divine: كل المعرفة التي يجب أن نكتسبها، كل القدرة التي يجب أن نحوزها، كل الكمال الذي يجب أن نبلغه، كل الحب الذي يجب أن نصير إليه، كل التوازن المتناسق والمتطور الذي يجب أن نحققه ونظهره في النور والبهجة، وكل الروائع الجديدة والتي لا تخطر على بال التي يجب أن نحققها."

الأم، كلمات الأم، الأعمال الكاملة، مجلد 14، 7 سبتمبر 1952

استناداً على الاقتباسات المذكورة، سَيُترجم مصطلح The Divine إما "بالذات الإلهية" أو بـ"الألوهية" حسب السياق.



وأخيراً تترجم قواميس كثيرة مصطلح "The Subconscious" بـ ""العقل الباطن"، وحيث أن شري أوروبيندو والأم يتحدثان عن أنواع مختلفة من الوعي الباطن، لم يجد المترجم خيراً من مصطلح "الوعي التحتي" للدلالة على "The Subconscious".



عسى أن يجد القارئ العربي في كلمات شري أوروبيندو والأم من الهداية والقوة والسعادة ما وجدت، بل ما يزيد على ذلك كثيراً.....

د. زكريا ممدوح مرسي

فبراير 2012